مجلة الحكمة للدراسات الإجتماعية ISSN :2353 - 0529
المجلد3 ، العدد5، (جانفي2015) EISSN : 2600-643x

الأسرة و تحديات العولمة

سامية قطوش

قسم : علم الاجتماع و الديمغرافيا

جامعة سعد دحلب"البليدة"

<u>الملخص:</u>

العولمة ظاهرة معقدة الأوجه، وقد فرض هذا المصطلح "عولمة" نفسه بقوة ليطال العالم بأكمله محدثا تغييرات في مختلف جوانب الحياة الاجتماعية، الاقتصادية، السياسية والثقافية تحت قيادة ثورة تكنولوجيا المعلومات.

وبناء على هذه الضجة الفكرية الإيديولوجية الكبيرة اهتم المشهد الثقافي والاجتماعي والسياسي العربي بشكل كبير لموضوع العولمة كمشروع كوني ، ففي ظل هذه التطورات و التصورات، يتضاعف القلق على مصير الهوية العربية ، كما تتضاعف الحاجة إلى الاستثمار في الرأسمال الاجتماعي من أجل الحفاظ على منظومة القيم .وهنا يتضح الدور المنتظر من الأسرة من خلال أهمية "إعادة الاعتبار إلى عناصر الثقافة الوطنية والعمل على تنشيطها في النسيج المجتمعي، و من هنا تتأكد أهمية التعويل على مؤسسة الأسرة باعتبارها مصنع القيم، و من ثم الاعتماد على التنشئة الاجتماعية في توريث هذه القيم التي تعتبر حارسة الهوية الوطنية.

Résumé

Quelles sont les enjeux inhérent aux familles actuelle ?qu’entend-on nous par le concept de mondialisation ?quel celle-ci a-t-elle de défit sur la société et la famille arabe ?

A travers l'étude de ces différentes problématiques. Cet article invite le lecteur à une analyse sociale des enjeux contemporain au thème de la famille et de la mondialisation

مدخل:

إن الحديث عن الأسرة في العقدين الأخيرين أصبح مختلفا تماما، وذلك راجع إلى أن أوضاع العالم قد شهدت تغيرات لم تعرف لها البشرية مثيل، فأصبح مشروع "الإنسان الكوني" يطرح نفسه بقوة في ظل المتغيرات الحديثة والسريعة. فأصبح الأمر يطال الطرح المتبنى في الواقع من خلال المظاهر المعولمة التي أصبحت تميز ملامح النسيج المجتمعي بكل ما تفرضه من مفاهيم جديدة، حيث بات الخلل ملحوظا في مختلف نواحي الحياة الاجتماعية، ومختلف المؤسسات المجتمعية، فآثار "العولمة" أصبحت تطال الأسرة، المدرسة، الجامعة والمؤسسات الاقتصادية بفعل التطور المذهل لوسائل و تكنولوجيات الاتصال التي تفتح الأبواب بلا استئذان، مع كل ما تحمله من تأثيرات مختلفة على العقل والوجدان. ولا نختلف اليوم حول الأزمة التي أصبح يعيشها المجتمع في ضوء الواقع المعيشي ووعي الأفراد بتأخر هذا الواقع، وما يترتب عن ذلك من مخلفات اجتماعية تكاد تصل أحيانا إلى الانسلاخ الاجتماعي عن مقومات الهوية الثقافية الوطنية.

ومن الطبيعي أن تتوجه الأنظار في مثل هذه الأزمات إلى المؤسسات التنشئية فيه على رأسها الأسرة، لكن لابد أن يكون هذا التوجه بعين النقد والتقويم من خلال إجراء قراءات لواقع هذه المؤسسة في ضوء التغير الاجتماعي الحاصل بغية الوصول إلى إعادة بناء تصورات جديدة ترفع من مستوى الوعي عند الأفراد للوصول إلى رشادة اجتماعية و تعامل أفضل مع هذه المعطيات.

I - ماهية ونشأة العولمة

مجلة الحكمة للدراسات الإجتماعية ISSN :2353 - 0529
المجلد3 ، العدد5، (جانفي2015) EISSN : 2600-643x

منذ بداية عقد التسعينات من القرن الماضي و الفكر مشغول بظاهرة جديدة لم يتفق المفكرون على تسمية واحدة لها ، حيث أطلق عليها البعض "العولمة"، و أطلق عليها البعض الآخر ام "الكونية"، كما سميت أيضا بالكوكبة، فما هي هذه الأخيرة ، و ما هي تداعياتها؟

"بإيجاز يمكن القول أن العالم بعد أن مر بالثورة الزراعية التي احتاجت لآلاف السنين لتجتاح العالم و الثورة الصناعية التي احتاجت لمئات السنين، يمر اليوم بالثورة المعلوماتية التي لن تحتاج إلى أكثر من عدة عقود لاجتياح العالم ، و ربما أقل . و قد تكون الاتصالات ووسائل المعلومات هي أبرز ما في هذه الثورة من تقنية مستحدثة و لكنها ليست الوحيدة ، فالعالم مقبل على ثورة في التقنية البيولوجية ، ليست تجارب الاستنساخ إلا مقدمة أولى لها ، فكل هذه التحولات و التغيرات سوف تؤدي إلى "عولمة" العالم ، أي توحده في أكثر المجالات."[1]

و الواقع أن مفهوم العولمة يشتمل على أبعاد اقتصادية و ثقافية و سياسية ، حيث "يحدد رجال الاقتصاد العولمة على أنها انفتاح العالم اقتصاديا على بعضه...و العولمة من خلال التصور الإعلامي هي عبارة عن شبكة من الاتصالات عالية الجودة مثل "شبكة الانترنيت و البريد الإلكتروني" حتى صار العالم مثل قرية صغيرة تتلاشى فيها حدود الزمان و المكان. أما رجال السياسة فيرون أن العولمة تعني الدعوة إلى اعتماد الديمقراطية و الليبرالية السياسية و حقوق الإنسان و الحريات الفردية و هي إعلان لنهاية سيادة الدولة و نهاية الحدود الجغرافية و السياسية. و العولمة الثقافية تعني توحيد القيم حول المرأة و الأسرة و حول الرغبة و الحاجة لأنماط الاستهلاك و الذوق في الأكل و الملبس ، إنها توحد طريقة التفكير و النظر إلى الذات." [2]

فالعولمة هي ظاهرة معقدة الأوجه، وقد فرض هذا المصطلح "عولمة" نفسه بقوة ليطال العالم بأكمله محدثا تغييرات في مختلف جوانب الحياة الاجتماعية، الاقتصادية، السياسية والثقافية تحت قيادة ثورة تكنولوجيا المعلومات.

وبناء على هذه الضجة الفكرية الإيديولوجية الكبيرة اهتم المشهد الثقافي والاجتماعي والسياسي العربي بشكل كبير لموضوع العولمة كمشروع كوني ، ففي ظل هذه التطورات و التصورات، يتضاعف القلق على مصير الهوية العربية ، كما تتضاعف الحاجة إلى الاستثمار في الرأسمال الاجتماعي من أجل الحفاظ على منظومة القيم وهنا يتضح الدور

المنتظر من الأسرة من خلال أهمية "إعادة الاعتبار إلى عناصر الثقافة الوطنية والعمل على تنشيطها في النسيج المجتمعي.

إن الخطر يكمن في غياب مشروع حضاري عربي يستجيب لمتطلبات العولمة ويكون بمثابة تأشيرة لدخول الألفية الثالثة بشكل إيجابي فاعل وليس البقاء في محل المفعول به وحسب. "ويبدو الحديث عن الثقافة في زمن التكتلات الضخمة ومشاريع الأمم الكبرى والحضارات الكونية والعولمة الاقتصادية، أشبه بالسباحة بعكس التيار، ولكن ثمة حقيقة تشفع لنا البحث في هذه المسألة في هذا الزمن، ألا وهي جملة التحديات التي تواجه الثقافات المحلية والوطنية من جراء مشاريع العولمة والكوكبة في إطار من الغلبة الشاملة، ولا تنبع التحديات التي تواجه الثقافات الوطنية من لقاء ثقافي حضاري بين ثقافتين لا متكافئتين، أو بين نظامين معرفيين متمايزين، وإنما التحديات من لقاء أمة متخلفة، ضعيفة، منهكة القوى، لا تمتلك مقومات السيادة الذاتية، وبين أمة قوية، متقدمة، تمتلك كل مقومات القوة والهيمنة."[3]
وبناء على ذلك فإن التحديات الحقيقية التي تواجهنا هي تتعلق أكثر بمعادلة غير متكافئة لشعوب قد قطعت أشواطا في اتجاه التطور حتى وصلت إلى طابع العالمية، مما يجعل هذه التحديات تقرأ على جميع مستويات التفاوت الاقتصادي، الثقافي، السياسي والحضاري، "ولذلك فإن التحدي الذي يطلقه مشروع العولمة والكوكبة ليس منحصرا في البعد الثقافي، وإنما يتعدى ذلك ويصل إلى كل المستويات، ومقصودنا بالثقافة الوطنية التي تواجه هذه التحديات هو جملة القيم والمعايير والممارسات كلها التي تصنعها الأمم المغلوبة حضاريا، في إطار السعي للخروج من حالة الارتهان الحضاري والحفاظ على ذاتها الثقافية وخصوصياتها العقدية والنفسية... والثقافة التي تضخها مؤسسات الغرب في هذا الاتجاه لا تؤهل أصحاب الوطنية لرؤية العالم بشكل موضوعي، وإنما هي ثقافة تعمق مسار الاغتراب في حياتهم الخاصة والعامة. ومن خلال تداعيات هذا الاغتراب، ينغرس الشعور الوهمي بأن الثقافة التي ينتجها الغرب هي ثقافة الكون كله." [4]

وهذا الاغتراب إنما هو انعكاس لسياسات تسعى إلى بسط السيطرة والنفوذ الغربي ولكن دون اللجوء إلى الفعل الاستعماري العسكري، لأن الأدوات الاستعمارية في عصر العولمة

أصبحت تتسم بالرقة والجاذبية، لأنها تخاطب العقول والوجدان، ولذلك فهي تجذب انتباه الآخر من دون أن يقرر هو نفسه ذلك !!

و في ظل هذه التطورات و التصورات، يتضاعف القلق على مصير الهوية العربية ، كما تتضاعف الحاجة إلى الاستثمار في الرأسمال الاجتماعي من أجل الحفاظ على منظومة القيم .وهنا يتضح الدور المنتظر من الأسرة من خلال أهمية "إعادة الاعتبار إلى عناصر الثقافة الوطنية والعمل على تنشيطها في النسيج المجتمعي، لأن بقاء عناصر الثقافة الوطنية ساكنة يعني تحول بعضها إلى فولكلور محلي، نشجع به السياحة ونحنطه في متاحف وأماكن أثرية لا غير."[5]

و من هنا تتأكد أهمية التعويل على مؤسسة الأسرة باعتبارها مصنع القيم ، و من ثم الاعتماد على التنشئة الاجتماعية في توريث هذه القيم التي تعتبر حارسة الهوية الوطنية.

II - الأسرة و العولمة:

هناك نقطة أساسية نحاول أن ننطلق منها في دراسة الإشكاليات التي تواجه الأسرة المعاصرة، و هي أن هذه الحياة الجديدة أصبحت تفرض معاني و مفاهيم جديدة أيضا لا تجد الأسرة نفسها على هامش التعامل بها أو معها، و لذلك فإن التعويل على الأسرة كنظام أساسي و أولي في النسيج المجتمعي، كفيل بتوعية الأفراد و الشعوب للاستيعاب الأفضل لمعطيات العالم الجديد، لأن الأسرة هي البيئة الأولى التي يتشرب منها الأطفال شباب المستقبل القيم و الثوابت و المبادئ الأخلاقية التي لابد من التمسك بها و بمعانيها و رموزها مهما كانت درجة التغير، ذلك أنه لكل ثقافة هويتها الخاصة التي تنطلق منها وتخضع لها. وتجدر الإشارة في هذا الصدد إلى أن الفرد العربي يجد نفسه في خضم أطروحة الإنسان الكوني أو النموذج الكوني التي يسعى الغرب إلى تجسيدها من خلال مختلف مظاهر الاختراق والغزو الثقافي الذي تمارسه العولمة على الأمم والشعوب، أمام موقف جديد شديد التعقيد، وفي هذا المضمون يطرح الدكتور "أحمد مجدي حجازي" في كتابه: "الثقافة العربية في زمن العولمة" سؤالا هاما هو: "هل باتت الثقافة تنهل أسباب وجودها وشخصيتها من مصادر خارج المجتمع الوطني؟ وهل ستصبح الثقافات عبر

الزمن موحدة؟ وهنا وللإجابة عن هذا التساؤل نجد اختلافا في موقف المفكرين حول هذا الموضوع حيث يضيف الكاتب: اختلف الباحثون، فمنهم من يرى في عولمة الثقافة تجردا من الولاء لثقافة ضيقة ومتعصبة إلى ثقافة عالمية واحدة يتساوى فيها الناس والأمم جميعا... ويذهب فريق آخر إلى أن عولمة الثقافة لا تلغي الخصوصية بل تؤكدها حيث أن الثقافة هي المعبر الأصيل عن الخصوصية التاريخية لأمة من الأمم، ومن ثم لابد من وجود ثقافات متعددة متنوعة تعمل كل منها على الحفاظ على كيانها ومقوماتها الخاصة."[6]

ومهما كان الموقف من العولمة نجد أن هناك حذر شديد من التعامل معها، خاصة عندما أصبحت آثارها تمتد إلى عمق الهوية الثقافية ومقومات الشخصية القومية العربية بسبب ما تتناقله وسائل الإعلام من نماذج معولمة حول مختلف نواحي الحياة الاجتماعية الاقتصادية والثقافية مستعينة في ذلك بمختلف صور التأثير والجذب والإثارة التي تتوجه إلى عقول ووجدان الشعوب العربية.

و بناء على هذا لابد أن يتوقف الآباء أمام هذا المناخ العام الذي يلح بضرورة التفكير و التساؤل و البحث في إنتاج أساليب تربوية جديدة تحسن توظيف المتغيرات الراهنة من أجل المحافظة على ملامح الهوية العربية بشكل يحول دون الخدش بمقوماتها . و الواقع هنا ، أنه يمكننا ملاحظة موقفين للأسر: أحدهما أن بعض الأسر أو الأهل يدخلون في صراعات مع الأبناء بحيث ينفون مشروعية هذا التغيير على الرغم من وعيهم بتأخر الواقع المعاش ، مما يوصلهم في الأخير إلى طريق مسدود يوسع الفجوة بينهما دون أن يصلا إلى حل يرضي كلاهما. أما الفريق الثاني فهو من زمرة الآباء الذين يقفون موقف المتفرج و المتتبع لمسلسل العولمة هذا، بحيث يكونون هم أيضا منجرفون في تيار المشروع الكوني الذي يسعى الغرب إلى تجسيده. و مهما اختلف الموقفان ، إلا أن كلاهما يجيب عن التساؤل المطروح و هو أن علاقة الأسرة بالمجتمع بهذه الطريقة كثيرا ما تكون سلبية إن لم نقل عقيمة في ضوء الجمود الاجتماعي الذي يمثل المحصلة النهائية للموقفين و

ISSN :2353 - 0529
EISSN : 2600-643x

الذي يسجل الآباء على هامش المشهد الثقافي و الاجتماعي داخل المجتمع , فالأسرة هي المحك الأساسي الذي لابد أن نعول عليه في مواجهة موجة التغيير المتواصل و على الأهل أن يكونوا فاعلين بالفكر و العواطف و الوجدان ،و أن يكونوا بمثابة وسيط لا غنى عنه للحد من الاستهلاك اللاعقلاني لبضائع العولمة المغرية. فالأسرة العربية مطالبة إذا بالحضور الفعلي من أجل صيانة الهوية الثقافية من خلال تنشئة اجتماعية سليمة

و متشبعة بعناصر الأصالة و القيم العربية . و تأسيسا على ذلك ، فهي مطالبة أيضا بتأكيد الذات الاجتماعية في الثقافة العربية من خلال إعادة تنظيم الحياة الاجتماعية والأخلاقية داخل المجتمع بفضل تعزيز القيم و الأخلاق الفاضلة من خلال الحفاظ على مكانة الدين و الأعراف و العادات الاجتماعية في النسيج المجتمعي بشكل لا يرفض هندسة معالم اجتماعية جديدة لا تتعارض مع الحداثة و لا تقبل بالاختراق الثقافي أو التقليد الأعمى .و أخيرا فلنقر جميعا أن الأسرة كمؤسسة تنشئية أولى في المجتمع في ظل هذه المشاريع المعولمة ، تبقى الأمل و المنجد الأكبر في تحصين الفكر العربي من التصورات الغربية التي تسعى إلى تأكيد مفهوم "الثقافة الموحدة"، و هي بذلك المؤثر الأكبر في معادلة التوازن الاجتماعي من خلال الحضور الفعال و المتواصل للآباء بشكل لا يسمح ببقائهم على هامش هذا التغيير ، و بشكل يصون ملامح الهوية الثقافية العربية .

III - الأسرة و أزمة الهوية الثقافية

تجدر الإشارة إلى إن إزالة الحواجز بين المجتمعات الإنسانية حسب ما تقتضيه متطلبات الحياة العصرية بالمفهوم العولمي لا يمكن أن يكون عبر تجاوز الثقافات الوطنية من خلال مشروع العولمة الذي "أوجد طرح جديد لوجود ثقافة عالمية موحدة... والثقافة هي الأخرى اندمجت أو تم دمجها داخل هذا النظام، ومن هنا أصبح السوق الدولي المتميز بالعولمة والشمولية عبارة عن مجموعات كبرى من الأفراد تتقاسم بغض النظر عن

حدودها الوطنية نفس طرق الحياة، ونفس أنظمة القيم، ونفس الأولويات ونفس الأدوات والمعايير وبالتالي نفس العقليات السوسيوثقافية."[7]

إن تطورات الواقع والحياة المعاصرة بكل ما تحمله من تغيرات، أدخلتنا في مرحلة جديدة تتطلب من الأهل في المجتمع العربي الحضور الفعلي في معركة البحث عن الإجابات والبدائل الملائمة والتي تواكب العصرنة والتحديث وتحافظ أيضا على ثوابت الأمة. وقد تكون الأسرة أمام كل هذه التحديات الجديدة التي يمر بها المجتمع العربي الأمل الأكبر في بناء فكر متجدد يساعد على التكيف مع أشكال ومعطيات الحياة العصرية في المجتمع بحيث يسمح بالريادة، وعلى مستوى الواقع ومظاهر "المعاصرة" يجد الأهل أنفسهم أمام إشكاليات ومعضلات خلفتها تعقيدات وأزمات الواقع المعاش، مما يفرض عليهم إيجاد تصورات فكرية اتجاهها يتمكن من خلالها تجاوز هذه الإشكاليات حتى ينطلقوا في معادلة إيجاد التوازن ما بين الحداثة والمعاصرة.

فالثقافة إذن أصبحت فاصلة في التقدم إلى الأمام نحو الحداثة والمعاصرة، أو الركض نحو الخلف وإضاعة المستقبل في الوقت الذي يزداد فيه الصراع على المعرفة الذي هو الآخر أصبح يمثل السمة الأساسية لبسط النفوذ والسلطة في المجتمعات، ولنا هنا أن نتصور الدور المنتظر من الأسرة و الأهل في خضم هذا السباق التاريخي بكل ما يحمله من خلفيات ثقافية واجتماعية وسياسية تتطلب قدر عالي وبدرجة عالية من المرونة التي تحفظ معالم الهوية الثقافية في المجتمع من جهة، وتواكب طريق التحديث والعصرنة دون الخدش بالثوابت والقيم، "فإدارة التحديث ولو كانت قسرية لا يمكن أن تجعل مجتمعا غير غربي يصير غربيا متطابقا. يبقى أن الحداثة طرقها متعددة، فهي ليست متطابقة بل متعاصرة، كل مجتمع قد يصبح حديثا حداثيا على طريقته، فهي حداثات متكافئة، ندية، أي متعاصرة. إن حداثتنا –إذ نحن أنجحناها- ستكون متميزة عن الغرب، لكنها مكافئة له ومتعاصرة معه، لكنها ستجعلنا أيضا متميزين عن الأسلاف"[8].

فظاهرة الغزو الثقافي التي تسطو على المجتمع التي تأثر أيضا على الأسرة كجزء من هذا المجتمع، لم تتراجع بقدر ما تحلت بلباس جديد يتلاءم مع معطيات العصر الجديدة،

وهو بهذا الشكل حملة ضد ثقافات هي مناهضة للثقافة الغربية التي تسعى إلى عولمة الثقافة وخلق نموذج الثقافة الأوحد، وبناء على هذا فنحن "معرضون لغزو ثقافي مضاعف، الغزو الكاسح الذي يحدث على مستوى عالمي والغزو الذي تمارسه علينا الدول الاستعمارية التقليدية، أما الوسائل فهي نفسها الإعلام بالمعنى الواسع والمتشعب، الإعلام الذي يغزو العقل والخيال والعاطفة والسلوك والأذواق والعادات...إلخ، تهدد الثقافة الوطنية والقومية في أهم مقوماتها، وترسيخ ثقافة عالمية موحدة مبنية على أساس الليبرالية وديمقراطية السوق وسيادة المستهلك العالمي الأوحد. فالغزو الثقافي أو الاختراق الثقافي إنما هو مرحلة غزو واختراق للنفوس بعدما غزت القوة الأبدان والأجساد، والهدف من إخضاع النفوس إنما هو غزو العقل وتكييف المنطق، توجيه الخيال، صنع الأذواق، ترسيخ نوع معين من القيم، تكريس إيديولوجيا خاصة، إيديولوجيا الاختراق"[9].

و بهذا، الأهل أصبحوا في ضوء هذه المعطيات يعيشون تحت ضغط اجتماعي كبير ، بحيث نجدهم يعانون من مشكل "اللاأمان" الذي يستشعرونه في كل مرة يغادر فيها الأبناء البيت ، لماذا ؟ لأن الأسرة على خلاف ما كانت عليه من قبل من أمن اجتماعي يحضى به الآباء في خلال ممارساتهم المختلفة في إطار عملية التنشئة الاجتماعية للأبناء في غياب مؤسسات التأثير المعاصرة كالهوائيات المقعرة أو صالات الأنترنيت المفتوحة عل مصراعيها ...أصبح الأهل يجدون أنفسهم اليوم في حالة لا أمان من تأثير هذه المؤثرات الخارجية و ما تقدمه من إغراءات مختلفة تصيب الفكر و الوجدان.
كما أن حدود التأثير أصبحت مفتوحة للغاية إلى درجة أن "البيت" كمجال سكني لم يعد قادر على التصدي لهذه المؤثرات لأنه أصبح هو نفسه وكرا لها بفعل ما تتناقله و سائل الإعلام و الاتصال ، فالبعد الفيزيقي إذن لم يعد يشكل حائلا دون التعرض إلى نماذج الحياة المعولمة. فالصورة أصبحت أهم شريك يومي للبشر ، فقد ساهم التلفزيون باستدخال قيم و سلوكات استهلاكية غالبا مضرة أو مخالفة للنموذج العربي ، و تحضرنا هنا أطروحة "هربر ماركيوز" عن "إنسان البعد الواحد" حيث يرى أن المجتمع الصناعي في ظل الرأسمالية المتقدمة قد خلق فيضا من الحاجات الكاذبة أو الأحلام

الزائفة ...و كل العلاقات تبدو زائفة و مستلبة و مفرغة من مضمونها الإنساني الحر ...و تسفر هذه الأشكال عن تحويل الإنسان إلى حيوان منتج مستهلك بالدرجة الأولى."[10]

و تأسيسا على ذلك فإن التلفزيون بدوره يدعم هذا الاتجاه الاستهلاكي لدى البشر ، حيث أن كثير من هذه الأشياء المستهلكة تخلق الحاجة المستمرة إلى أشياء متزايدة ، الشيء الذي يجعل الفرد غير قادر على مقاومتها إلا بصعوبة ، حيث يركز على تحقيقها لأنه من دونها يشعر بالإحباط . و في ضوء هذه الحاجات المتزايدة المغرية المتنوعة، يحاول الأفراد المستحيل للحصول عليها حتى و إن اضطر الأمر أحيانا إلى ارتكاب المحظور، و هنا تظهر عالمية الفساد .و بهذا الشكل تجد الأسرة نفسها مضطرة إلى استضافة الثقافات الجديدة إن لم تقدر على وضع الأحكام المناسبة لتهذيب الأذواق و تعليم كيفيات و مبادئ الاختيار بشكل لا يتناقض مع الثوابت و المبادئ الأخلاقية و الاجتماعية للأسرة، مما ينتج أزمة هوية داخل المجتمع الواحد.

VI -الدور المنتظر من الأسرة في زمن العولمة:

في ضوء المعطيات الجديدة التي فرضتها العولمة ، و في سياق المشروع الكوني الذي تجتهد و تبرع في رسم ملامحه عبر كامل المعمورة ، و بناء على إشكالية تأخر واقع المجتمعات العربية و وعي الأفراد بتأخره، يجب الاعتراف بأننا أمام أزمة اجتماعية غاية في الخطورة تزداد الفجوات فيها اتساعا يوما بعد يوم بفعل تكنولوجيا الإعلام و الاتصال السريعة التي أصبحت تستعمل مختلف وسائل الجذب و الإثارة في عروضها المتنوعة للسلع العالمية ، و عليه فإنه لابد من موقف واضح و عاقل للمجتمع ينضج بمختلف الجهود التي تنظمها كل أنظمة الدولة على رأسها الأسرة التي هي مطالبة بصناعة موقف اجتماعي ثقافي مدروس و واعي ينتج عن وعي الأهل بضرورة تحصين الفكر و العقل و الوجدان العربي من هذا الإرهاب الفكري الثقافي العالمي ، و عليه يقتضي على الأسرة تبني أسلوب "حصانة" جديد يساعد الأبناء على التكيف مع التغير الاجتماعي بشكل يصون مقومات الشخصية العربية ، حيث ينضج هذا الأسلوب أيضا بمختلف مظاهر الرقابة و الضبط الاجتماعي الأسري الذي لابد أن يتبناه الأهل في إطار مواجهة ظاهرة الاختراق الثقافي و انعكاساتها على سلوكات الأفراد، مع العلم أن" الضبط الاجتماعي عبارة عن قوة

يستخدمها المجتمع و الطرق و المعايير التي يقرها و يفرضها على أفراده في سلوكهم بمختلف أشكاله من أجل ضمان سلامة البنيان الاجتماعي ، و المحافظة على أوضاعه و نظمه و صيانته من الانحراف و جعلهم يتمسكون بالقيم و الأنظمة التعليمية المرغوب فيها و المقبولة لاستمرار نظام المجتمع."[11]

و تنبع ضرورة الضبط الاجتماعي من طبيعة النسق الاجتماعي ، إذ لكل مجتمع قواعده القيمية و موروثاته الثقافية التي لابد من المحافظة و ضبط الرقابة عليها من أجل الحفاظ على معالم النص الاجتماعي الثقافي ، وذلك بالحرص و التشديد على هذه القواعد من خلال تنشئة الأطفال على تقبل ما يفرضه عليهم التنظيم الاجتماعي بشكل يتخذ من المرونة في التنشئة الاجتماعية أسلوبا وسطا ينتهجه الأهل في إطار محاولة تحقيق التوازن بين المنظومة العقدية و متطلبات الواقع الجديد. ففي ظل هذه المتغيرات الجديدة التي يشهدها العالم اليوم ، تزداد الحاجة إلى الضبط الأسري بمقدار الاختراق الثقافي و الاجتماعي الذي تفرضه العولمة . و تأسيسا على ذلك ، فإنه لابد من الاتجاه

و التفكير في صيانة الجماعة من بعض السلوكات البشرية التي أصبحت تهددها ، و ذلك من خلال اتخاذ موضوع " التربية" كأداة التأثير الفعالة ، و نحن نتحدث هنا عن التربية الأسرية بغض النظر عن التربية النظامية المدرسية ، ذلك أن الأسرة هي أول و أكبر المؤسسات التنشئية ، و ذلك من خلال توجيه الأفراد إلى النموذج أو السلوك التربوي الذي تريده الجماعة خاصة في ظل الفوارق الموجودة بين التربية التقليدية و الحديثة ، فيكون ذلك من خلال إعادة تكييف سلوك الأفراد و مواقفهم بشكل يساير الأطر الثقافية و الضوابط الاجتماعية التي تقبلها الجماعة . ذلك أن عملية التغير الاجتماعي تتطلب مرحلة جديدة من التكيف لابد أن يبدأ الأهل أولا داخل الأسرة في انتهاجها و ذلك من أجل تجاوز فجوة الواقع المتأخر على نحو ما تلحظه من تغيرات في كل نواحي الحياة بعد كل ثورة تتجاوز الماضي، في اتجاه المحافظة على وظيفة الضبط الاجتماعي التي تتمثل في تحديد السلوك المقبول في المجتمع أين يستمد قوته من الأعراف و التقاليد في تنظيم العلاقات بين الأفراد ، و ليس هناك غير الأسرة من تنشئ و تعلم

الأفراد و تبني المبادئ الخلقية باعتبارها تمثل التراث التاريخي ، و تعكس الواقع الاجتماعي ، و لذلك فإنها مازالت رغم كل شيء تحتفظ بصدارتها في التأثير ، ففي البيت يتعلم الطفل مبادئ القومية و الوطنية من خلال الاستماع إلى أحاديث الأهل في أمور الحياة و الأمة و التاريخ و الأمثال و الأساطير، مما يشكل الحصانة لديهم بشكل ينمو شيئا فشيئا ليصبح يمثل الإطار المرجعي لسلوكهم ، و يكون ذلك بمثابة صمام الأمان الذي يحول دون الانسلاخ عن الهوية الثقافية الوطنية . و من هنا يظهر دور الأسرة في ضرورة الضبط الاجتماعي من خلال التأكيد على القيم و المعايير الأخلاقية التي لا يجوز تجاوزها .وعليه تعتبر الأسرة أساس قوة التحصين و حصن المواجهة المنيع ، و لذلك فعلى الأنظمة العربية أن توليها الرعاية الكافية و الدعم المادي و المعنوي حتى تحقق الدور المنشود، و لابد أيضا من تضافر جهود المؤسسات الأخرى في اتجاه تصور و بناء نموذج أصيل في ظل التغير الاجتماعي.

الخاتمة:

في ضوء المتغيرات الجديدة التي تفرضها ظاهرة "العولمة"، وفي ضوء المتطلبات الجديدة أيضا التي تفرضها حقيقة تأخر الواقع الذي نعيش فيه و بضرورة مواكبة التطور، لابد من إيجاد مخرج ثقافي اجتماعي للأزمات التي يعيشها المجتمع وتتقاذفه في غياب مرجعية فلسفية علمية يتبناها. ولابد أيضا من تفعيل محاولات جادة لتقريب الرؤى بين الأصالة و المعاصرة ،وذلك من خلال محاولة الخروج عن قوقعة الانغلاق الذاتي والصمت الاجتماعي الجماعي . فقد أضحت المؤثرات في عصر العولمة غاية في الإثارة تستدعي تكثيف الجهود و الأفكار و العقول من أجل صيانة الهوية الثقافية العربية من سجان "الثقافة الموحدة" و من إرهاب أطروحة الإنسان الكوني .ولنتذكر أنه قد قطعنا شوطا كبيرا في ترديد شعارات التنديد بالتغير الذي فرضته العولمة، ولنتفق أنه قد آن الأوان لأن نستثمر أكثر في مؤسسة الأسرة لأنها الأمل الأكبر الذي نعول عليه كونها البيئة الأولى للتنشئة الاجتماعية ، وكونها أيضا المصداق الداخلي الوحيد الذي ينتزع شرعيته من قوة و خصوصية العلاقات الاجتماعية التي تجمع الأفراد في الأسرة و

لذلك فإن لها قوة تأثير تضاهي المؤسسات الأخرى مهما تنوعت إغراءاتها.و تجدر الإشارة إلى أنه على عاتق المؤسسات الأخرى كالمدرسة خاصة يقع العبء أيضا من خلال محاولة التنسيق بين الفعل الأسري و الفعل المدرسي في إطار التنشئة الاجتماعية.و يقع على عاتق المثقفين من جهة أخرى تعزيز جهود الآباء في الأسرة من خلال محاولات جادة لتأسيس حقائق ثقافية في المحيط الاجتماعي بعيدا عن التنظير والقول المجرد، و ذلك بإيجاد طروحات واقعية للأزمات المعاصرة داخل المجتمع ،ذلك أن المجتمع و الأسرة داخله لا يمكن أن تفهم أو تقرأ أو تتطلع إلى واقعها ومستقبلها وآفاقها إلا من خلال ما ينتجه المثقف من قراءات حول المشهد الثقافي و الاجتماعي و السياسي

و الاقتصادي ، و لذلك فإن انعتاق المثقف عن سياسة الصمت هو أول خطوة و أكبر مكسب للأسرة كنظام فاعل و مؤثر في المجتمع في إطار جهودها المختلفة في تحقيق معادلة التوازن بين الأصالة و المعاصرة.

الإحالات و المراجع:

1-تركي الحمد: الثقافة العربية في عصر العولمة، دار الساقي، بيروت ،ص11

2- فاروق السيد عثمان: سيكولوجية العولمة، دار الأمين للنشر و التوزيع ، بيروت، ص ص41،40

المثاقفة، المثقف العربي و تحديات العولمة، منشورات عويدات، 1979، ص111 3- محمد محفوظ : الحظور

محمد محفوظ، نفس المرجع، ص ص113،112 4-

5- محمد محفوظ، ، نفس المرجع، ص 114.

6- أحمد مجدي حجازي: الثقافة العربية في زمن العولمة، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، 2001، ص 38.

7- يحي اليحياوي: العولمة والتكنولوجيا والثقافة، مدخل إلى تكنولوجيا المعرفة، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ط1، 2002، ص 32.

8- علي أومليل:سؤال الثقافة، الثقافة العربية في عالم متحول، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط1، 2005 ، ص 100

9- محمد عابد الجابري: المسألة الثقافية في الوطن العربي، سلسلة الثقافة القومية، مركز دراسات الوحدة العربية،، بيروت، 1994، ص 199.

10- علاء طاهر:مدرسة فرانكفورت من هوركهايمر إلى هابرماس، منشورات مركز الإنماء القومي،ص68

11- ابراهيم ناصر : علم الاجتماع التربوي، دار الجيل ، بيروت ، و مكتبة الرائد العلمية ، عمان،ص157وص159